دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

محطات أثرية شمال شرق شط الحضنة في إقليم المسيلة (الجزائر)
إقليمي عين الخضراء والسوامع

د. سعاد سليماني
أستاذة محاضرة (أ) في الآثار القديمة
جامعة قسنطينة (٢)
الجمهورية الجزائرية

حنان خربوش
أستاذة محاضرة (ب) في الآثار القديمة
جامعة قسنطينة (٢)
الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

نقدم في هذه الدراسة نتائج التحريات الأثرية التي قمنا بها في إقليمي عين الخضراء والسوامع الموجودين شرق شط الحضنة بولاية المسيلة. وتحتل هذه الأخيرة موقعًا وسطًا بقلب الجزائر، وتشكل بذلك همزة وصل بين شرقها وغربها، وكذا بين شمالها وجنوبها. عرفت هذه المنطقة على مر العصور تعميرًا بشريًا هامًا، وتشهد على ذلك العديد من المواقع الأثرية المنتشرة عبر ربوعها. لكن العديد من هذه الأخيرة ظل مجهولاً، لاسيما تلك الموجودة شرق إقليم المسيلة، وما نعرفه عنها مجرد إشارات مختصرة جاءت في تقارير البعثات الاستكشافية التي قامت بها الإدارة الفرنسية إبان استعمارها للجزائر. سنسعى من خلال هذه الدراسة الوقوف على منطقتين هامتين، تحتلان الجهة الشمالية الشرقية لشط الحضنة بالمسيلة، إنهما عين الخضراء التي يحتوي إقليمها مجموعة من المواقع الأثرية الهامة، ثم منطقة السوامع التي يوجد بها موقع خربة الرصاص الذي كان أهم مركز زراعي بالمنطقة كلها قديمًا واستمر استغلاله حتى الفترات الإسلامية. اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي ثم المنهجين المقارن والتحليلي حتى نتمكن من إعطاء قراءة منطقية لمختلف الشواهد الأثرية، وكذا استنتاج وظائفها. وعليه خلصنا إلى أن طابع هذين الموقعين ريفي محض، ولا شك أن أثنينهما تابع لمدينة مقرة كما أنهما لعبا دورًا اقتصاديًا هامًا بالمنطقة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٦ يناير ٢٠٢١
تاريخ قبـول النشـر: ٢٥ فبراير ٢٠٢١

كلمات مفتاحية:

حضنة؛ المسيلة؛ عين الخضراء؛ آثار ريفية؛ معاصر؛ زجاج؛ فخار؛ كنز.

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2021.218680

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

سعاد سليماني، حنان خربوش. "محطات أثرية شمال شرق شط الحضنة في إقليم المسيلة (الجزائر): إقليمي عين الخضراء والسوامع".- دورية كان التاريخية.- السنة الرابعة عشرة- العدد الحادي والخمسون؛ مارس ٢٠٢١. ص ١٤ – ٢٢.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: souad.slimani@univ-constantine2.dz
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورية كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

نقدم في هذه الدراسة مجموعة من المواقع الأثرية الهامة المنتشرة بالجهة الشمالية الشرقية من شط الحضنة بإقليم المسيلة. تنتشر كلها عبر إقليم بلديتين شرق ولاية المسيلة. نستهلها بتلك الموجودة ببلدية "عين الخضراء" البالغ عددها حاليًا ثمانية مواقع أثرية ويليها بلدية "السوامع" التي عرفت أهم مركز فلاحي بالمنطقة خلال الفترات القديمة، هذا الذي تم تزويده بقناة ناقلة للماء تنطلق على بعد حوالي ٢٥ كلم من واد القصب بالمسيلة. ندرج كمرحلة أولى من البحث، ملفات لبعض هذه المحطات التاريخية بغية التعريف بها وبما تتنوع به بقاياها الأثرية، فلعل هذه الأخيرة تيسر لنا تحديد نوعها ووظيفتها، كما قد يتسنى لنا بذلك إدراك ما هو الدور الذي لعبته هذه التجمعات في الفترات القديمة المنتشرة بمناطق أضحت اليوم خالية. اعتمدنا في هذا البحث أساسًا على التحريات الميدانية التي قمنا بها في بعض المواقع من جهة، وكذا على دراسات وتقارير سابقة متعلقة بها من جهة أخرى.

أولاً: مواقع إقليم بلدية عين الخضراء

يمتد إقليم عين الخضراء على بعد ٦٢كلم جنوب شرق مقر ولاية المسيلة، وتلامس حدوده الشرقية مدينة مقرة المعروفة باسم "ماكري" قديما. عرفت عين الخضرة سابقا باسم "عين الكلبة" نسبة إلى المنبع المائي المتواجد بها، هذا الذي طالما تميزت مياهه بالوفرة والجودة العالية[١]، سُمي سابقًا بعين الرومان بسبب احتوائه على بقايا مبنى قديم[٢]، غير أنه لم يعد موجودًا الآن.

يتخلل تراب عين الخضراء بعض الوديان والسيول المنحدرة من الشمال إلى الجنوب نحو شط الحضنة، ومن أهمها واد النفيضة وكذا واد الملاح. تبين الخريطة رقم ٢٦ لبوطالب من الأطلس الأثري للجزائر، أن إقليم عين الخضرة يحتوي على ستة مواقع أثرية[٣]؛ تنتشر بقايا معظمها على ضفاف الوادين السالفي الذكر. وبعد التحريات الميدانية التي أجريناها بالمنطقة مؤخرًا، تبين لنا وجود موقعين آخرين لم يُشر إليهما من قبل (الصورة ١).

في الواقع لا نعلم إلى اليوم اسم المنطقة قديما، فحتى المصادر التاريخية، سواء اللاتينية أم العربية لم تأت على ذكرها، مع ذلك، إننا لا نستبعد أن تكون تابعة لإقليم مدينة ماكري قديما[٤]. وأيضًا قد تسوقنا قراءة خريطة شبكة الطرق الرومانية التي أنجزها الباحث "بيار سلامة" (Salama Pierre)، إلى إدراجها ضمن المحطات الهامة خلال الفترات القديمة؛ فهي تمتد على الضفة الجنوبية للطريق الرومانية المتجهة نحو مدينة طبنة من الجهة الجنوبية الشرقية من جهة، ويفترض كذلك إلى مقرة من الناحية الشمالية الشرقية من جهة أخرى، ثم إلى مدينة زابي جوستنيانا[٥] غربًا ١٥: ٣)، مع العلم أنه اكتشفت كتابة ميلية بخربة الصوالح مفادها مرور الطريق الرومانية القادمة من المدينة القديمة "تمالولة" [٦] (Thamalhula) الموجودة برأس الواد ولاية برج بوعريريج، متجهة إلى المدينة القديمة طبنة[٧] الموجودة ببيطام حاليًا (الصورة ٢)، وهذا عبر واد منايفة وموقع هنشير بودربالة[٨] الموجود بيرهوم من جهة، ثم عبر مدينة ماكري ومنطقة الصوالح[٩] من جهة أخرى.

تشير معظم الشواهد الأثرية المنتشرة بها، أنها كانت ذات طابع زراعي و فلاحي ولا ريب أنها احتوت منشآت زراعية هامة، لاسيما معاصر الزيتون و مطاحن الحبوب؛ فكل ذلك أهّلَهَا لتكون ذات أهمية اقتصادية قديما .استمر تواجدها حتى القرن السادس الميلادي، وهذا ما نستنتجه من محتوى الكنز النقدي الوندالي الذي اكتشف بعين الكلبة والذي سنتطرق إليه من خلال مجموعة المواقع التي عايناها ميدانيا[١٠].

١/١-خربة الصوالح[١١]

نجد هذا الموقع على الطريق الرابط بين مقرة وعين الخضرة بدوار الصوالح حاليًا[١٢]، على الضفة الشرقية لواد النفيضة وعلى بعد حوالي ٤ كلم جنوب غرب موقع خربة مالك[١٣] الموجود بمقرة، وبالتحديد عند النقطة ٣٤°٣٣'٣٥ .٩٣" شمالا و٠٥°٢٣' ٥٩" شرقًا. إضافة إلى الكثير من الحجارة المنحوتة التي كانت بها، عُثر في ما مضى على قاعدة عمود كانت تحمل كتابة لاتينية، غير أن نصها غير واضح وهذا ماحال دون إعطاء قراءة كاملة[١٤]؛ وهي عبارة عن حجر ميلي يحدد المسافة من موقع الصوالح إلى طبنة[١٥] على الطريق الرابطة بين موقع بودربالة بيرهوم و"طبنة" مرورًا بالصوالح[١٦]. لم نتمكن من التأكد من ذلك لأنه لا وجود للنصب الذي يحمل النقيشة حاليًا، غير أن "جزال" (Gsell)[١٧]، أشار إلى ما بقي من نصها، وهو كالآتي : ...*[h]ic via nova* .... *vicus macri a tvb* ....، بمعنى :"....هنا الطريق الجديدة....قرية ماكري التي تبعدعن طبنة..."

ومن أهم ما اكتشف أيضًا بهذا الموقع، كتابة ترجع إلى لفترة المسيحية نقشت على تاج عمود[١٨] (الصورة٣)، وجدت هذه الكتابة بمشتى" سيدي يوسف" أو ما يُسمى حاليًا بمزارة سيدي يوسف[١٩]، يبعد هذا الموقع عن الصوالح بحوالي ٤ كلم. وأيضا لم يتسنى لنا معاينته بعد. يبدو أن هذا النص يحمل

أسماء شهداء للاضطهاد الديني، من بينهم اسم "ميكايل باولوس" MECAEL PAVLUS، الذي قد يكون أحد الشهداء المحليين [٢٠] الذين اعتنقوا الدين المسيحي ودافع عن عقيدته السائدة أنذاك. عرف هذا النوع من الكتابات على التيجان ببعض المناطق بنوميديا أيضًا؛ فمثله اوجد بموقع "هنشير قساس" باتنة وآخر بموقع جميلة[٢١] بسطيف.

بسبب التوسع العمراني للمنطقة، لم نجد أثناء تحرياتنا إلا الشيء القليل من الشواهد المادية، فنذكر مضاد ثقل طوله: ١,٢٠ م وعرضه ٠,٥٥ م، وهو عنصر معماري ينتمي إلى معصرة زيتون قديمة، كان مرميًا على حافة الطريق الرابط بين الصوالح ومقرة تحديدًا عند النقطة ٣٥°٢٩'٣٤. ٩٤" شمالاً و ٠٥°٢٤'. ٥٢" شرقًا. وعلى بعد حوالي ٤٠٠ م جنوب غرب هذه الأخيرة في اتجاه واد النفيضة، لمحنا انتشار بعض الكسور الفخارية من النوع السجيلي الإفريقي والشعبي (الصورة ٤)

١/٢-خربة أولاد رحمون

دائمًا على الطريق الرابط بين مقرة وعين الخضراء بدوار الصوالح على الضفة الغربية لواد النفيضة، نلمح على بعد١,٧ كلم جنوب غرب خربة الصوالح وعلى بعد ١,٥ كلم شمال غرب مشتى سيدي يوسف وتحديدًا عند النقطة ٣٥°٣٣'٤٥. ٥٤" شمالا و٠٥°١'. ١٩" شرقًا وعلى ارتفاع ٤٦٣ م، بقايا أثرية تنتشر على مساحة تقدر بحوالي ١٠ هكتار فوق ربوة صغيرة وسط حقول خاصة بزراعة الحبوب، يبدو شكلها شبه مستطيل ولعله استغل كمقبرة في فترات لاحقة. إن جل البقايا الأثرية التي يمكن ملاحظتها على السطح[٢٢] مباشرة، توحي مثل التي وجدت بموقع الصوالح إلى شواهد ذات صلة بالاستغلال الزراعي. فمعظمها تابع لمنشآت فلاحية سواء وظيفية أم سكنية مثل بقايا أساسات لمباني من الطوب؛ تتجلى آثار تقسيمات الفضاءات الخاصة بمبانيها على السطح بشكل واضح (الصورة ٥). وهناك العديد من بقايا عناصر معمارية تابعة لمعاصر الزيتون، تمثلت أساسًا في العديد من مضادات الثقل، وأحصينا منها ٧ عناصر مختلفة الأبعاد (الصورة ٦)، وتدل هذه الكمية على وجود عدد هام من المعاصر بهذا المكان.

وما شد انتباهنا في هذه المقبرة، وجود قبر قديم عند الزاوية الشمالية الغربية للمقبرة وهو من نوع المزارة، يشبه القبر الموجود بموقع بودربالة ببرهوم٢٣. علاوة عن ذلك، هناك بقايا من الزجاج القديم، منها قطعة قد تكون تابعة لعقد أو من حلي أخرى، والأهم في هذه اللقى الزجاجية بقايا قطعة من عجينة أو نفايات الزجاج التي تسوقنا لافتراض وجود ورشات لتشكيل الزجاج بالمنطقة قديما

٣/١-موقع أولاد بن عمر

لم نتمكن من معاينة هذا الموقع الذي يقع على بعد ٣ كلم غرب مقر بلدية عين الخضراء بدوار أولاد بن عمر. جاء ذكره تحت رقم ١١٧ في خريطة بوطالب[٢٤]، ويبدو أن بقاياه تمثلت في بعض الحجارة المنحوتة وأجزاء من عناصر معمارية تابعة لمعاصر قديمة[٢٥] وهذا دليل آخر على وجود معاصر بالمنطقة

٤/١-خربة أولاد عثمان

تقع خربة أولاد عثمان بدوار أولاد عثمان بالضفة الشرقية لواد المالح، على بعد حوالي ١٢ كلم غرب دوار الصوالح من جهة، وحوالي ٢ كلم غرب موقع أولاد بن عمر من جهة أخرى. يغطي هذا الموقع الأثري مساحة تقدر بحوالي ٣,٥ هكتار، ونجده تحديدًا عند النقطة ٣٥°٣١'٣١. ٩١" شمالا و٤°١٦'٥٥. ١١ شرقًا، غير أنه لم يبق من الشواهد الأثرية به إلا القليل، وهذا راجع إلى التوسع العمراني بالمنطقة.

يمتد الجزء الظاهر من الموقع تحت هضبة تغطي مساحتها ٢هكتار تقريبًا، وتستغل حاليًا كمقبرة للدفن. أما الباقي فتغطيه المباني الجديدة وبساتين خاصة. من أهم ما كان يظهر على السطح، بقايا أساسات جدران تظهر جزئيا بالجزء الشمالي الغربي من المقبرة، ومعظمها يمتد تحت البنايات الحديثة، أما ما يمكن ملاحظته بكثرة هو بقايا كسور الفخار الذي جاء بأنواع مختلفة، مع الإشارة إلى انتشار العديد من بقايا الرماد وآثار الحرق، وهنا نتساءل ما إذا هناك فرن للفخار؟ أم أننا أمام ظاهرة حرق ترجع للفترة القديمة؟ يطلق سكان المنطقة حاليًا اسم "الرمادة" على الموقع بسبب كثرة الرماد المنتشر بها، ونستحضر هنا مثلاً موقع هنشير الرمادة بمقرة[٢٦] الذي تميز بذات الخصائص، كما لا نستبعد أن تكون هذه الرمادات مجرد مفرغة لتلك المنطقة قديمًا؟ إذ كثيرًا ما نصادف مثل هكذا ظاهرة في العديد من المواقع الأثرية التي وقفنا عليها في دراستنا هذه أو عبر مواقع أخرى في كامل الوطن.

من بين اللقى التي اكتشفت بدوار أولاد عثمان، قطعة فخارية هامة احتفظ بها أحد المواطنين يدعى "هواري العياشي"، وهي من الأواني المطبخية القديمة، متوسطة الحجم وأحمر آجوري لونها. شكل بطنها إسطواني مفلطح ثم ينحدر بشكل مائل وينتهي بقاعدة مستوية. بلغ قطر فوهتها ٠,٢٣ م وسمكها ٠,٠٠٨ م وقطر قاعدتها ٠,١٥ م، أما عمقها فهو ٠,٠٨ م.

عندما عرضنا صورة هذه الآنية على المختص في فخاريات الفترة المتأخرة بشمال إفريقيا "ميشال بونيفاي" Michel Bonifay، أكد لنا أنها فريدة من نوعها ولا تمُتُ بصلة للتصنيفات المعروفة في شمال إفريقيا، وعليه قد تكون نمطًا خاصًا بالمنطقة وربما حتى من صناعة محلية. ولا نستبعد هذا لأننا وقفنا على أثار فرن بمنطقة القلال بالناحية الشرقية لدوار عين الكلبة.

١/٥-خربة القلال بدوار عين الكلبة

تقع خربة القلال بالناحية الشرقية لدوار عين الكلبة، وتعرف هذه الناحية بذراع الرمل. يقع هذا الأخير على بعد ٥ كلم جنوب عين الخضراء، وقد تتطابق مع الموقع الذي ذكره "جزال" (Gsell) تحت رقم ١١٨ بورقة بوطالب[٢٧]، ثم أنها جاءت على بعد ٦٠٠ م من المنبع القديم لعين الكلبة. أشار "جزال" إلى وجود حجارة منحوتة به لا غير. إن بقايا الموقع الذي عايناه، تتمركز وتظهر على بعد ٢,١كلم شمال شرق المنبع، أي تحديدًا عند النقطة ٣٥°٢٩'٤١. ٤٦" شمالاً و٤°٥٧'٠٢. ١١" شرقًا. تنتشر به العديد من كسور الفخار القديم على مساحة ٣ هكتار تقريبًا، ولذلك يسميها أهل المنطقة بخربة القلال[٢٨].

أول ما شد انتباهنا بالموقع، إضافة إلى كسور الفخار الكثيرة، وجود بقايا عديدة من الملاط الجيري على السطح وثمة بعض العناصر المعمارية الدالة دومًا على وجود منشآت وظيفية وأخرى سكنية كذلك، ناهيك عن العديد من مضادات الثقل التي تستعمل في معاصر الزيتون؛ فقد أحصينا ستة مضادات ضخمة منحوتة على حجارة من النوع الرملي أو المتكتل (Conglomérat)، كلها مصقولة بشكل غير منتظم ومعظمها لا يظهر كليًا. زيادة على ذلك، هناك عناصر أخرى ذات صلة بالطحن، نذكر أجزاء سفلية (Meta) لمطاحن حبوب من الحجم الكبير، منحوتة أيضًا على حجارة من النوع المتكتل.

٦/١-فرن خربة القلال

ومن بين المخلفات الهامة أيضًا، وقفنا على آثار فرن للفخار فوق تلة صغيرة بالجهة الشرقية للموقع. تجسدت شواهده في بقايا الرماد وآثار الحرق وعجينة الفخار المحروقة ومخلفات الحرق، فضلاً عن العديد من كسور الآجور والقطع الفخارية المتنوعة الصغيرة والكبيرة الحجم مثل الأواني المنزلية وبقايا لمصابيح زيتية. (الصورة٧) على بعد ٢٠٠ م تقريبًا شرق موقع االفرن، يمكن رؤية بقايا أساسات منشآت سكنية، فقط أنه لا يظهر منها إلا الأخاديد التي تبين حدودها، وتدلنا على أننا أمام موقع لاريب أن مبانيه كانت تبنى بالطوب أيضًا. (الصورة ٨)

ثانيًا: الكنز النقدي لعين الكلبة

اكتشف في نهاية السبعينات[٢٩] بدوار عين الكلبة كنز نقدي هام، غير أننا لم نجد معلومات حول مكان اكتشافه بالضبط. احتوى هذا الأخير على ١٢٤٢ قطعة برونزية صغيرة ترجع لفترات مختلفة؛ منها قطعة ترجع للفترة البونية و٧٠ عملة ترجع للفترتين البيزنطية والرومانية، ثم٧٧ عملة ضُربت باسم الملك "تراسموند" (٤٩٦ -٥٢٣) (Thrasamund) رابع ملوك الوندال، كما وجد من بينها ٨٢٤ عملة مجهولة تحمل رمز إلهة النصر الرومانية المعروفة باسم فيكتوريا Victoria، إضافة إلى ذلك ١٧ قرصًا من مادة الرصاص[٣٠] تم إيداع جزء من هذا الكنز سنة ١٩٨٢بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس وهذا على مستوى قسم العملات والميداليات والتحف. بلغ عدد العملات المودعة ٨٨ قطعة برونزية صغيرة وتحمل أرقام الجرد من ١٩٨٢ -٢٤١ إلى ١٩٨٢ -٣٢٧.[٣١] (الصورة ٩)

تذهب السيدة "موريسون" (Morrisson) التي درست هذا الكنز، إلى إرجاعه رغم تركيبته وتنوعه إلى نفس الفترة التي أُرخ بها الكنز النقدي الذي اكتشف بمنطقة "سيدي عيش" بتونس، أي ما بين ٥٢٠ م و ٥٣٠ م [٣٢]. فضلا عن ذلك ترى أن عملية إخفاء الكنز النقدي "لعين الكلبة"، كان تخوفا من وصول البزنطيين في الفترة التي قاد فيها القائد "سولومون" حملته الثانية، وهذا يتطابق مع تأريخ العملات الأحدث لمجموعة من هذا الكنز؛ أي نحو الفترة ما بين ٥٢٠-٥٣٠ والتي ترجع إلى عهد الملك "تراسموند"[٣٣]، وعليه فهو يعطي كذلك فكرة عن التداول النقدي بإفريقيا قبل الحملة البيزنطية، أو على الأقل قبل دخول عملات بيزنطية[٣٤]. وتضيف نفس الباحثة أن هذه المجموعة تعكس ظاهرة التضخم التي عرفتها إفريقيا في بداية القرن السادس الميلادي.[٣٥]

ثالثًا: مواقع إقليم بلدية السوامع

خربة الرصاص

لا توجد شواهد وكتابات تمدنا بالاسم القديم لخربة الرصاص (الصورة ١) رغم أهميتها، مع ذلك رجحها البعض أنها هي نفسها المنطقة المذكورة تحت اسم Ad Salinae nebunonenses أو Ad Salinas tubunonenses[٣٦] المدرجة في مسار أنطونين[٣٧]. كما ننوه بأن هذه الأخيرة لم يرد ذكرها في القوائم الأسقفية لمقاطعة زابي بموريطانيا السطايفية.[٣٨]

تقع خربة الرصاص على بعد قرابة ٣ كلم جنوب غرب "السوامع"، وهي البلدية التي تحد عين الخضراء من الناحية الجنوبية الغربية. تتجلى أثارها عند النقطة ٣٥°٣٣'٢١,٤٥" شمالاً و٤٩°٣٩'٣١,٩٠" شرقًا، على بعد ٥كلم تقريبًا شمال شط الحضنة. يعبرها العديد من المجاري المائية المنحدرة نحو هذا الشط، وأهمها وادي "العنات" و"عجلان" اللذين يتوسطهم موقعها.

مثلها مثل العديد من المواقع الأثرية المنتشرة حول شط الحضنة، ما تزال أثارها تحت التراب ولم تنل حقها من البحث والدرس، فإنما جاء ذكرها عرضًا في تقارير إدارية من إنجاز فرق استكشافية للإدارة الفرنسية ترجع إلى مطلع القرن التاسع عشر. عرفت كأهم مركز زراعي[٣٩] في الفترات القديمة، فهي منطقة زراعية عالية الخصوبة[٤٠]. رغم أنها حاليًا أرض جرداء قاحلة، ففي الماضي القريب، لما كانت تحظى بالسقي المنتظم تصبح خصبة وتنتج أجود أنواع الحبوب. كما ذكرت دراسات سابقة أنه أجريت تجربة لزراعة القطن في هذه المنطقة بين عامي ١٨٥٧ و١٨٦٠، ففاق محصوله كل التوقعات لأنه أعطى قطنا من النوعية الرفيعة المعروف بقطن "جورجيا" Georgia[٤١] الواقعة جنوب القوقاز.

ذُكر في الورقة ٢٥ الخاصة بالمسيلة من الأطلس الأثري تحت رقم ٩١، أن هذا الموقع به آثار رومانية تغطي مساحة تقدر بحوالي أربعة ٤٠ هكتارات، تمثلت في بقايا كنيسة مسيحية وأجزاء أعمدة ومطاحن وأحواض صغيرة مصنوعة من مادة الجص، بالإضافة إلى العديد من القطع الفخارية والمطاحن[٤٢].

لكن عند معاينتنا للمنطقة، لاحظنا أن الآثار التي وقفنا عليها تمتد على مساحة تفوق 20 هكتار ولم يبق منها إلا مجموعة من التلال التي تحوي بقايا أثرية مختلفة، معظمها تمثل في العديد من الفخار القديم بنوعيه الاعتيادي (céramique commune) والسجيلي الأفريقي (sigillée africaine) الذي تحتوي عينات منه على زخارف مُقصلة (décor en guilloché)، أي على شكل خطوط ومنحنيات متشابكة،و شاع إنتاج هذا النوع في الفترات المتأخرة [٤٣]. زيادة عن ذلك،عثرنا على قطع من الفخار ذو البريق المعدني الذي يعود إلى الفترة الإسلامية، مما يؤكد على استمرارية استغلال المنطقة في الفترة الإسلامية، ولعلها الفترة التي عاصرت إما دولة الحماديين بقلعة بني حماد أو حتى الفاطميين بالمحمدية (المسيلة).

جاء موقع خربة الرصاص على شكل مجموعة تلال من الردم، امتزجت فيها بقايا أشقف الفخار وعناصر معمارية مختلفة؛ فمنها حجارة منحوتة بشكل غير منتظم، وقواعد لأعمدة تبدو أنها لم تُحرك وظلت مكانها. أضف إلى ذلك، ثمة بعض الأساسات التي قد تكون بقايا لكنيسة، فقط لم يبق منها سوى صفين من القواعد التي كانت تشكل ربما البلاطة الوسطى للمبنى، وهنا عثرنا على بقايا زجاجية، تمثلت في أجزاء من كأس (calice) يستعمل في الطقوس الدينية بالكنائس خلال الفترة المسيحية[٤٤].

في حين تنتشر بقايا أساسات أخرى مُربع ومُستطيل شكلها؛ لعلها بقايا منشآت سكنية أو مجموعة من الضيعات الفلاحية. تتخلل هذه الفضاءات بقايا أحواض مربعة تتشكل من أربع مقصورات مقولبة بالجص والملاط، وهي بمثابة أوعية لحفظ الماء قديمًا. أنشئت هذه الأخيرة على جانب كل منزل بخربة الرصاص[٤٥] (الصورة ١٠). تذكرنا أيضًا بنماذج مشابهة رأيناها بموقع عي سلطان[٤٦] الكائن ببلدية بن سرور جنوب شرق شط الحضنة. نشير هنا إلى نقص المادة الحجرية، فثمة القليل جدا من العناصر المعمارية الكبيرة أو حتى بقايا الحجارة الدبشية؛ فلا نستبعد استعمال مادة اللبن في البناءات مثلما لاحظناه بخربة القلال أعلاه؛ فهي المادة الأنسب لمقاومة المناخ الحار الذي يطغى على المنطقة صيفا حسب ما أكده الساكنة بالمنطقة؛ فهناك بضواحي الموقع منازل حديثة مبني معظمها بهذه المادة.

يترامى على السطح بقايا عناصر معمارية تنتمي إلى منشآت تحويلية، نذكر منها مضادات الثقل التابعة لمعاصر الزيتون وعدد من الأجزاء السفلية لمطاحن الحبوب الكبيرة، وأيضًا أجزاء عديدة من المطاحن اليدوية، ولعل عجينة الفخار المنتشرة وبعض من عجينة الحديد وبقايا الحرق بها، تدل على وجود فرن وورشة لصناعة الفخار. ومن الآثار الهامة بالموقع، ثمة جزء صغير من جدار حامل -دون شك- لقناة مياه يشبه تلك القناة الموجودة بزابي[٤٧]، ولعلها تكون تابعة للقناة التي كانت تأتي من واد القصب[٤٨] على بعد ٢٥ كلم لتزود خربة الرصاص بالماء.

لا ريب أن هذه المعطيات مجتمعة، توحي بأهميتها من الجانب الفلاحي، وأنها حتما تمتعت بمكانة اقتصادية خلال الفترات القديمة المتأخرة خاصة. وما قد يعزز تخميننا هذا، هو موقعها الاستراتيجي بالنسبة لشبكة الطرق القديمة أيضًا؛ إذ من خلال تتبعنا لخريطة الطرق الرومانية القديمة، ندرك جيدًا أن الطريق التي كانت تربط بين المنطقة المسماة بفاقس[٤٩] (vaccis) وطبنة، والتي كان يتخللها مجموعة من الآبار الارتوازية[٥٠]، كانت دون شك تمر عبر خربة الرصاص وتجتاز

مجموعة من المواقع حتى تصل إلى موقع شط الحمام، هذا الذي نعتقد أنه نفسه الموقع الذي أُدرج تحت رقم ٩١ [٥١] على الخريطة رقم ٢٦ لبوطالب، ثم تتجه عبر عدد من المواقع نحو "خربة القلال" بعين الخضراء، وتنتهي عند الجزء الذي يوصل إلى مدينة طبنة القديمة. تُعد خربة الرصاص أيضا من المدن الهامة التي قد دمرت من طرف قبائل الجيتول (Gétules) قبل مجيء الوندال أو مباشرة عند بدايات زحف هؤلاء[٥٢] على منطقة الحضنة. مع ذلك، عاودتها الحياة في الفترات الوسيطة لأنه وقفنا على عينات من الفخار الإسلامي ذو البريق المعدني بالموقع الأثري.

خَاتِمَةٌ

تتجسد بقايا معظم هذه المواقع في العديد من المراكز الفلاحية التي احتوت على إقامات وضيعات بمختلف هياكلها، غير أننا لم نستطع التعرف على مخططاتها كليًا، ليس فقط لأن معظم موادها قد زالت أو استغلت في المباني الحديثة المجاورة لها، بل حتى تلك البعيدة عن التوسع العمراني لا تزال أثارها تحت الأرض، وتستدعي الاستظهار من أجل قراءتها ودراستها مستقبلاً. أضف إلى ذلك خصوصية بعض المنشآت (ضيعات أو منازل؟) التي يمكن أن نلمح بشكل غير دقيق أساساتها، لأنها أصلا قد بنيت بمادة الطوب وزالت نهائيًا، فلم يبق سوى عناصر معمارية هامة فيها، لاسيما الخاصة بمعاصر الزيتون ومطاحن الحبوب، وينتشر على سطحها العديد من الفخار وبقايا الحرق ونفاياته، وذات الشيء بالنسبة للزجاج. أما بقايا عدد من مضادات الثقل وعناصر السحق المنتمية إلى المعاصر، تشير دون شك إلى الزيتنة بالمنطقة قديمًا.

تميزت هذه العناصر بتنوع أشكالها فلا تنطبق في معظمها مع التنميطات المعروفة بالنسبة للعناصر المعمارية التابعة لمعاصر الزيتون التي وجدت بمواقع أخرى في الجزائر أو في كل من تونس[٥٣] وليبيا[٥٤]، غير أن هذه الخصوصية وجدت ببعض المناطق بشرشال[٥٥]، ونذكر خاصة أشكال مضادات الثقل وأحجار الرسو التي احتوت على فتحتين متوازيتين[٥٦].

تنتشر جل هذه المواقع الأثرية التابعة للجزء الشمالي الشرقي للحضنة، عبر مساحات شاسعة من السهول الملائمة للنشاط الاقتصادي والزراعي، وذلك لما تتوفر عليه من تربة خصبة ومياه عذبة، وعليه من البديهي تصنيف بقاياها ضمن المنشآت الريفية التي ساهمت في النهوض باقتصاد المنطقة قديمًا. ولا ريب أن هذا الريف ينتمي إلى إقليم مدينة ماكري (مقرة القديمة) لأنها الأقرب. إلى جانب ذلك، عرفت هذه الأخيرة خلال القرنين الرابع والخامس الميلادين توافدًا بشريًا هامًا؛ فكانت ضمن المناطق التي نفى إليها الملك الوندالي هونيريك Huneric (٤٧٧ –٤٨٤) قرابة ٥٠٠٠ كاثوليكي، ولعل هؤلاء انتشروا عبر العديد من المناطق التابعة لإقليم مقرة بما فيها المواقع المدروسة هنا، وهذا ما زاد من حيويتها وحركية اقتصادها؛ ولعل الكنز النقدي الذي اكتشف بعين الكلبة يؤكد ذلك.[٥٧]

الملاحق

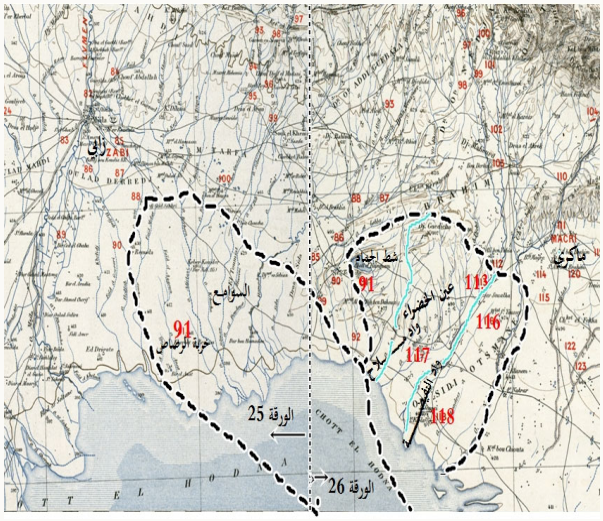

الصورة (١)

حدود بلديتي عين الخضراء. و السوامع ومواقعها الأثرية في الخريطتين ٢٥ و ٢٦ من الأطلس الأثري للجزائر(بتصرف)
(Gsell St ,AAA ,feuilles :25 et 26)

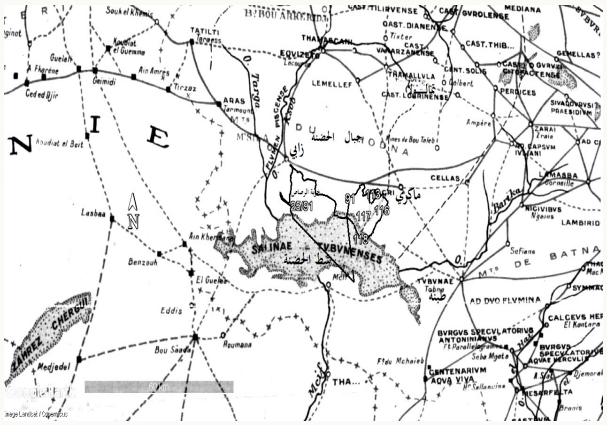

الصورة (٢)

مواقع عين الخضرة على خريطة شبكة الطرق (بتصرف) عن Salama.P

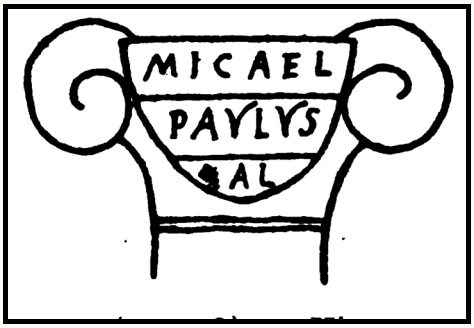

الصورة (٣)

كتابة مسيحية نقشت على تاج عمود(عن Monceaux ,p 295)

الصورة (٤)

عينات من فخار الصوالح

الصورة (٥)

ع أولاد رحمون

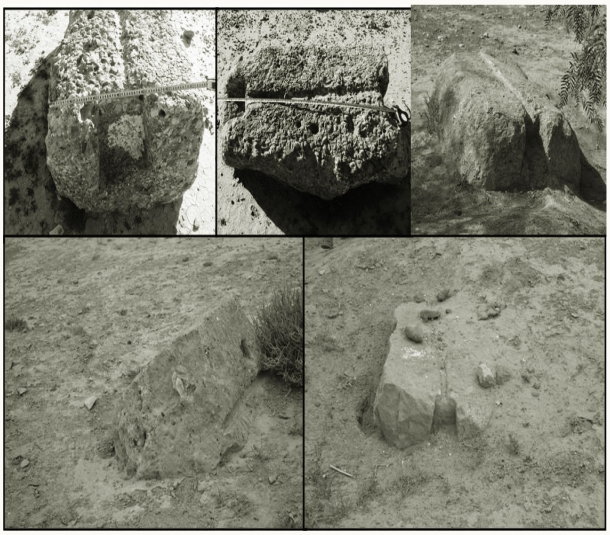

الصورة (٦)

نماذج من مضادات ثقل بمختلف المواقع

الصورة (٧)

عينات من فخار خربة القلال

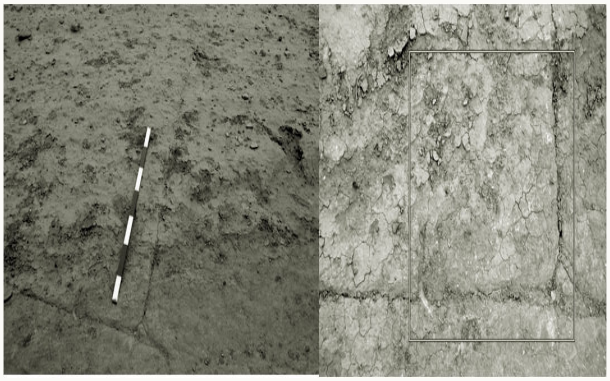

الصورة (٨)

آثار أسسات لمبنى من الطوب بموقع القلال

الصورة (٩)

عملتان من كنز عين الكلبة

https://images.bnf.fr/#/doclist/1610749511261

الصورة (١٠)

عيناتان من الأحواض المائية المقولبة بالجص والملاط

الاحالات المرجعية:

(1) Savornin J, Essaisur l'hydrologie du Hodna : Régime artésien - Sources Vauclusiennes - Sources thermo-minérale, Jourdan, Alger1908, p.65.

(2) Ville . M, Voyage d'exploration dans les bassins du Hodna et du Sahara. Paris1868,p.122.

(3) Gsell.St,Atlas Archéologique de l'Algérie(AAA): édition spéciale des cartes au 200.000e du Service Géographique de l'Armée ; avec un texte explicatif:feuille 26 n°(S) 91 ,92,113,116,117,118.

(٤) سعاد سليماني، حنان خربوش؛ **ملفات أثرية بإقليم مقرة: دراسة لموقعي الرمادة وهنشير الرمادة**، مجلة دراسات، ٢٠١٨، العدد ٠٩، ص.١١-١٢.

(5) Salama. P, Les voies romaines de l'Afrique du Nord, Alger, Imprimerie officielle du gouvernement de l'Algérie, Alger 1951,voir la carte

(6) Gsell St ,AAA. feuille 26 n°19

(7) Gsell St ,AAA. feuille ٣٧ n°١٠

(8) Gsell St ,AAA. feuille 26 n°103

(9) Ungerer M, Notes sur quelques ruines antiquités d'Algérie ,BCTH, 1904 ,p.153.

(١٠) سليماني سعاد، **دراسة تاريخية أثرية للمعالم والمواقع القديمة ببلاد الحضنة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر ٢، الجزائر،٢٠١٤، ص ٩٦-١١٩.

(11) Gsell St ,AAA. feuille 26 n°113

(١٢) جاء ذكر المنطقة باسم الصوالحة في **الخريطة الطبوغرافية** رقم ٢٦ لبوطالب بالأطلس الأثري للجزائر، ويحمل الموقع رقم ١١٣.

(١٣) سعاد سليماني، حنان خربوش؛ ص١٧.

(14) Tousaint, M. (1903).Rapport sur les reconnaissances archéologiques exécutées par les brigades topographique d'Algérie et de Tunisie en 1901-1902 , BCTH, 1903 ,pp. CXLVI – CXLVII .

(15) Ibid.

(16) Ibid, CXLVII.

(17) Gsell St ,AAA. feuille 26 n°103.

(18) Monceaux. P, Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique. In: *Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des inscriptions et belles-lettres de l'Institut de France. Première série, Sujets divers d'érudition*. Tome 12, 1e partie, 1908 ,pp.294-295.

(19) Ibid,p294 ;AAA.26/116.

(20) Ibid,p295.

(21) Ibid,p.242 ,274.

(٢٢) سليماني سعاد، المرجع السابق، ص١٠٣.

(٢٣) المرجع نفسه، انظر ملف بودربالة، ص ١٤٣.

(24) Gsell St ,AAA. feuille 26 n°117

(25) Id

(٢٦) سليماني. س؛خربوش.ج، ص. ١٦

(27) Gsell St ,AAA. feuille 26 n°118.

(٢٨) **القلال** كلمة محلية تعني الفخار.

(29) Morisson, C. Mélanges de numismatique, d'archéologie et d'histoires offertes à J. Lafaurie, Paris, Soc. Fr. Num., 1980, p. 239-248.

(30) Id.p 240, note1.

(٣١) المسؤول عن قسم العملات والميداليات والتحف، بعد أن اتصلنا بمصالحه عن طريق البريد الإلكتروني، ونوجه له كل الشكر والتقدير (Dominique Hollard) أعطيت لنا هذه المعلومات من طرف السيد دومنيك هولارد.

(32) Id.p 240.

(33) Id.p 242.

(34) Id.p 240, note1.

(35) Id,p 243.

(36) Grange.R, Monographie de Tobna (Thubunae), RSAC, V35, 1901, P. 60.

(37) Payen, Colonisation du Hodna, RSAC, 1893, P. 146.

(38) Ibid, P. 145.

(39) Gsell. St, Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie,Ernest Leroux,Paris,1911 ,pp.75-76.

(40) Toulotte, Géographie de l'Afrique Chrétienne. Tome II, la Numidie. 1894, Paris. p248.

(41) Payen, RSAC, 1893, P.146.

(42) Gsell St, AAA. feuille 25 n°91.

(43) Ben Moussa, Moncef, Production et circulation de sigillées africaines de la Tunisie septentrionale, Barcelona, 2007, p.208 ; Bonifay.Michel, Céramique africaine et imitations : où, quand, pourquoi ? In : Morais (R.), Fernández (A.), Sousa (M. J.) éd. - As produções cerâmicas de imitação na Hispania. Porto/Madrid, 2014, (Monografías Ex Officina Hispana, 2), P. 80.

(44) Foy Danièle, Démians D'Archimbaud Gabrielle. Dépôts de verres et rites funéraires. Archéologie du cimetière chrétien. Actes du 2e colloque ARCHEA (Orléans 29 septembre-1er octobre 1994) Tours : Fédération pour l'édition de la Revue archéologique du Centre de la France, 1996. p .236

(45) Payen, Les travaux hydrauliques anciens, dont il existe encore de nombreux vestiges dans la partie du Hodna Dépendant de la Province de Constantine , RSAC, 1864 ,p4,note1 ; Gsell.St, Enquête ....,p.75.

(٤٦) سليماني. س، ص٤٠٣-٤٠٤.

(47) Slimani.S ; Kherbouche H, Les formes d'occupation antique dans le Hodna : état des lieux, p.194.

(48) Gsell.St,Id.

(٤٩) مع الإشارة دائمًا إلى أن موقع فاقس لم يحدد بعد إذ يضعها مسار أنطونين بالقرب من طبنة، ونقترح مثل غيرنا من الباحثين الأولين، بعد التحريات الميدانية التي قمنا بها، أن تكون نفسها منطقة التي تحمل تسمية فاقس بإقليم أولاد منصور من الجهة الشمالية الغربية لشط الحضنة، أنها ن للمزيد من المعلومات، يمكن الاطلاع على عمل حول الموضوع. (تحت الطبع)

(50) Payen,RSAC 1893 ,p144 .

(51) Gsell. St , AAA. feuille 25 n°91.

(52) Payen, Id, P. 145.

(53) Sehili. S , Huileries antiques de Jebel Semmama. Centre de Publication universitaire , Tunis,2009.

(54) Mattingly, D J, Hitchner, R B, "Technical specifications for some North African olive press of roman date." BCTH 1993, Supplément XXVI.pp439-461.

(55) Leveau. P, Caesarea de Maurétanie. Une ville romaine et ses campagnes. Collection de l'École française de Rome, 1984, P. 430-432.

(٥١) سليماني.سعاد، **خصوصية المواقع الأثرية بالحضنة**، تكريم خاص للأستاذين محمد البشير شنيتي وأرفه لي محمد الخير، **أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية**، الجزائر٢٠١٦، ص ص٣٨١ -٣٨٣.